مفهوم أدب الأطفال:

قراءة في التعريفات وتفكيك الرؤى

م.م عامر هاتو حميد
جامعة ميسان

المقدمة :

يُعد أدب الأطفال فرعًا من فروع الأدب الإنساني الذي يجمع بين الأبعاد الجمالية والوظائف التربوية، مما جعله محط أنظار الباحثين والأكاديميين منذ نشأته، وقد تميز بطبيعة الفئة المستهدفة وما يصاحبها من خصوصيات واختلاف طرائق التعبير وأساليب التلقي، مما أسهم في تعدد التعريفات المرتبطة بهذا الفن، بما يعكس ثراءه ومرونته وعمق تأثيره في البناء النفسي والمعرفي للطفل.

ومنذ تبلوره كفن مستقل، توالت جهود النقاد والباحثين في محاولة تأطير مفهومه ورسم ملامحه الأساسية، ما أدى إلى نشوء طيف واسع من الرؤى والتفسيرات، وفي هذا السياق، يتناول هذا المقال محورين، وهما:

1- عرضًا تحليليًا لأبرز التعريفات المقدمة لأدب الأطفال.

2- تفكيك الرؤى المختلفة التي تناولت العلاقة بين الطفل كمتلقٍ وكمنتجٍ أدبي.

حيث تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الإشكاليات النظرية المحيطة بمفهوم أدب الأطفال، في سبيل الإسهام في إثراء النقاش الأكاديمي حول هذا المجال الحيوي ودوره في تنمية الوعي الطفولي وتشكيل معالم شخصيته الأدبية والمعرفية.

المحور الأول: تحليل تعريفات أدب الأطفال

تعددت تعريفات أدب الأطفال بتعدد توجهات الباحثين والأكاديميين، حيث قدم كل منهم تعريفه وفقاً لمنظوره الخاص ورؤيته المنهجية، ومن بين هذه التعريفات نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

عرفه الدكتور **محمد محمود رضوان** ، بأنّه "الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية، سواء كان شعراً أو نثراً، وسواء كان تعبيراً شفوياً أو تحريرياً" (1)، مشيراً إلى أن هذا المفهوم يشمل القصص والمسرحيات والأناشيد.

بينما رأى الدكتور **هادي نعمان الهيتي** أنّه مجموعة من "الآثار الفنية التي تصوّر أفكاراً وأحاسيس وخيالات تتّفق ومدارك الأطفال، وتتّخذ أشكال القصة، والمسرحية، والمقالة، والأغنية" (2) ، في إشارة إلى تنوّع الأجناس الأدبية التي يتضمّنها هذا الفن.

أما الدكتور **نجيب الكيلاني** فقد أكد على أن أدب الأطفال هو "فن حديث" (3) في سياقه العربي والعالمي، يختلف عن الأدب العام لا في بنيته، بل في توجيهه لفئة ذات خصائص عقلية ونفسية فريدة، فهو أدب يخاطب خيال الطفل الواسع وقدراته الإدراكية المتمايزة عن الراشدين، ويُسهم في بناء وجدان الطفل وفكره من خلال أدوات فنية قريبة من عالمه.

وفي سياق متقارب، قدّم الدكتور علي الحديدي تعريفاً ينطلق من منهجية أدبية صارمة، فوصفه بأنّه "شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، ويتّصل بلغته ومحتواه بما يتناسب مع

قاموس الطفل وأسلوب تفكيره في كل مرحلة عمرية" (4)

من جهته، أوضح الدكتور **عبد الفتاح أبو معال** أن أدب الأطفال لا يخرج عن كونه جزءاً من الأدب العام، لكنه يتخصّص في مخاطبة فئة محددة من المجتمع، تختلف عقلياً وإدراكياً عن البالغين (5)، بينما ركّز الدكتور أحمد حسن حنورة على ضرورة مراعاة الخصائص النمائية والحاجات النفسية والمعرفية للطفل في صياغة هذا الأدب (6)

أما الدكتور **أحمد زلط**، فقد وصفه بأنه "إبداع مؤسس على خلق فني" (7) ، يعتمد على لغة سهلة وشفافة، وخيال بسيط، ومضمون هادف، يُصاغ بأساليب تخاطب عقل الطفل وتُثير ذائقته الجمالية.

وقد أضاف الدكتور **أحمد نجيب** بُعداً معرفياً حين فرّق بين نوعين من أدب الأطفال: الأدب العام الذي يشمل المعارف المتنوّعة، والأدب الخاص الذي يركّز على المتعة الفنية من خلال الشعر والنثر (8)

وتحدّث الدكتور حسن شحاتة عن أدب الأطفال بوصفه وسيطاً تربوياً يُساعد الطفل على اكتشاف العالم، والإجابة عن تساؤلاته، وتوسيع خياله، وتقبّل الخبرات الجديدة (9)

وأخيراً، لخّص الدكتور **أسعد أبو الرضا** الرؤى المختلفة في تعريف أدب الأطفال بأنه "الإنتاج العقلي المدون في كتب موجّهة للأطفال سواء في المقررات الدراسية أو القراءات الحرة" (10)

وبالرغم من تعدّد هذه التعريفات، إلا أن القاسم المشترك بينها يتمثّل في كون أدب الأطفال فناً هادفاً، موجهاً، يحمل وظيفة تثقيفية وتربوية وجمالية، تخاطب عقل الطفل وروحه وخياله، غير أن بعض هذه التعريفات تُغفل – في واقع الأمر – حاجات الأطفال العاطفية والنفسية، وميولهم الشخصية، وأحلامهم وطموحاتهم، مكتفيةً بوصف الأدب من الخارج دون التوغّل في عمق تجربة الطفولة نفسها.

بل تُظهر بعض الرؤى قصوراً في الاعتراف بنتاج الطفل نفسه كجزء من هذا الأدب، متناسيةً قدرته الإبداعية، ومتجاهلة إمكانياته في التعبير عن ذاته وعالمه، فهل يُعد ما يبدعه الأطفال بأنفسهم من ضمن أدب الأطفال؟ أم أنّه نوع مستقل لا يندرج ضمن هذا الإطار؟ هذا سؤال لم تتطرّق إليه أغلب المصادر التي تناولت المفهوم، مما يُفتح الباب أمام دراسة أكثر شمولاً للعلاقة بين الطفل كمتلقٍّ، وكمنتجٍ أدبي، وهذا ما سنتطرق اليه في المحور الثاني.

المحور الثاني: إبداعات الأطفال: جزء من أدب الأطفال أم نوع مستقل؟

للإجابة على التساؤل المطروح، يتبين أن هناك جدلاً واسعاً بين الباحثين حول ما إذا كانت الإبداعات التي ينتجها الأطفال تعتبر جزءاً من أدب الأطفال أم لا، وسنستعرض وجهات النظر المتباينة ما بين الباحثين على النحو التالي:

أولا: يرى بعض الباحثين أن هذه الإبداعات تنتمي بالفعل إلى أدب الأطفال، حيث تعكس مشاعر الطفل وتجاربهم وخيالاتهم الداخلية، وبالتالي، تُعدّ هذه الإبداعات صوتاً أصيلاً ينبع من عالم الطفولة، وليس من خارجه، ومنهم:

1. الدكتور أحمد نجيب في كتابه (أدب الأطفال علم وفن)، يُشير إلى أهمية تشجيع الطفل على الإبداع الأدبي، ويرى أن ما يُنتجه الأطفال من نصوص – حتى وإن كانت بسيطة – يجب أن يُدرج ضمن أدب الأطفال، لأنه يُعبّر عن وعي داخلي وتجربة معيشة حقيقية لا يستطيع الكبار تمثيلها بدقّة (11).

2. الدكتورة سعاد مسعود، في بحثها (إبداع الطفل بين التلقين والحرية)، تؤكد أن تمكين الطفل من التعبير الأدبي يُعدّ ممارسة أدبية كاملة، وأن تصنيفه خارج إطار أدب الأطفال يُقلّل من قيمة صوت الطفل كمشارك ثقافي (12).

3. يوسف زيدان، في دراسة له (الطفل والأدب: دراسة تحليلية في فنون التعبير الموجه للأطفال)، يستعرض نماذج أدبية متنوعة ويبحث في علاقة الطفل بالإبداع، مما يعزز فكرة أن إبداع الطفل هو جزء من أدب الأطفال (13).

4. عبد المنعم شلبي، في كتابه (فن أدب الطفل)، يتناول بشكل خاص السؤال: (هل يُمكن اعتبار ما يكتبه الطفل أدبًا؟)، ويقدم أمثلة تطبيقية لدعم فكرة أن إبداعات الأطفال تستحق الاعتراف كجزء من أدب الأطفال (14).

ثانيا: بينما يذهب آخرون إلى اعتباره نوعًا مستقلًا يُصنّف تحت (إبداع الطفل) أو (أدب الناشئة)، لكونه لا يمر بنفس المعايير الفنية والتقنية التي يعتمدها الكبار في كتابة أدب الأطفال، سواء من حيث اللغة أو البناء الفني، منهم:

1. الدكتور كمال نشأت، يرى في دراسته (في أدب الطفل: دراسة جمالية)، أن إبداع الطفل يفتقر إلى المقومات الفنية التي تجعل منه أدبًا بالمعايير النقدية، بل هو نشاط تعليمي/نفسي، يجب تشجيعه، لكنه لا يدخل ضمن الأدب المصنّف نقديًا (15).

2. الدكتور حسين نصار، في كتابه (قضايا في أدب الطفل العربي)، يرى أن أدب الطفل يجب أن يصدر عن مؤلفين ناضجين يمتلكون أدوات اللغة والتقنيات الفنية. أما ما يكتبه الأطفال، فهو يقع في خانة التعبير الفني المبكّر، وليس الأدب المنظّم (16).

ومن خلال الموازنة ما بين هذه الآراء، نلحظ أن النقاش يدور حول المنهجية الفنية ومصدر الإنتاج الأدبي، فالفريق الأول يركز على الجوهر التعبيري وأهمية صوت الطفل، في حين يركز الفريق الثاني على المعايير النقدية واللغة الأدبية.

وأخيرا: يتضح لنا أن هناك حاجة إلى إعادة النظر في التصنيف التقليدي لأدب الأطفال، وفتح المجال لاعتبار إبداع الطفل جزءًا تكامليًا من هذا الأدب، حيث يعبر عن فئة من داخله وليس فقط من خارجه.

الهوامش :

1- محمد محمود رضوان. (1984م). أدب الأطفال: مبادئه ومقوماته الأساسية، دار المعارف، القاهرة. ص 8.
2- الهيتي، هادي نعمان. (1986). أدب الأطفال: فلسفته، فنونه. (ط1). دار الشؤون الثقافية، بغداد. ص72.
3- كيلاني، نجيب. (1986). أدب الأطفال في ضوء الاسلام، مؤسسة الاسراء، الجزائر. ص 13.
4- الحديدي، علي. (1988). في أدب الأطفال. (ط4). مكتبة الانجلو المصرية، ص 100.
5- ابو معال، عبد الفتاح. (1988). أدب الأطفال: دراسة وتطبيق. (ط2). دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن. ص12.
6- حنوره، احمد حسن، (1989م). أدب الأطفال. (ط1). مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت. ص25.
7- زلط، أحمد، (1990م)، أدب الطفولة (اصوله، مفاهيمه، رواده). (ط1). الشركة العربية للنشر والتوزيع، مصر. ص25.
8- أحمد نجيب. (1991 م). أدب الأطفال (علم وفن). (ط1). دار الفكر العربي، مصر. ص 278 – 279.
9- شحاته، حسن. (1994م). أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث. (ط2). الدار المصرية اللبنانية، القاهرة. ص7.
10- ابو الرضا، أسعد. (1993 م). النص الأدبي للأطفال. (ط1). دار البشير، الاردن. ص26.
11- ينظر: أحمد نجيب: أدب الأطفال (علم وفن). ص45.
12- مسعود، سعاد. (2004). إبداع الطفل بين التلقين والحرية. القاهرة: دار الفكر العربي. ص34.
13- زيدان، يوسف. (2002). الطفل والأدب: دراسة تحليلية في فنون التعبير الموجه للأطفال. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص89.
14- شلبي، عبد المنعم. (1998). فن أدب الطفل. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ص67.
15- نشأت، كمال. (1980). في أدب الطفل: دراسة جمالية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص12.
16- نصار، حسين. (1996). قضايا في أدب الطفل العربي. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة. ص78.